دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، صيف ۱۴۰۰، العدد الخمسون: صص ۹- ۳۰

شعر أبی القاسم الشّابی بین مضامینه القرآنیّة والرومنطیقیة

سیامک اصغرپور *

عاطفه اصغری چنار **

تاریخ الوصول: ۹۹/۴/۱۳

تاریخ القبول: ۹۹/۷/۲۹

الملخص

إنّ *أبا القاسم الشّابی* قد ولد فی بیئة ملیئة بالضّوء القرآنیّ فإنّه اختار القرآن کجلیس لنفسه واستطاع أن ینهی حفظه، فتأثّر منه فی سلوکه وحیاته الاجتماعیّة ومسیر تفکیره أیّ تأثّر حیث أنه اتّخذ أسلوبه کنمط لبعض من شعره الرومنطیقی وهذا ما یمنعه من أن تکون مضامین جلّ شعره بعیدة عن التعالیم القرآنیة ومعارضة لها بصفة عامة، الأمر الّذی قد یلمسه القارئ فی أبیاته وفحواها. تهدف هذه المقالة معتمدة علی المنهج الوصفی التحلیلی إلی البحث عن ملامح توجیه القرآن فکرَ الشّاعر إضافة إلی مدی کره الشاعر الرذائل واستحسانه المکارم والمحاسن الخلقیة خاصة فی خلال أشعاره التی تطرّق فیها إلی الشّعب والوطن مستخرجة ما فی أبیات الشّاعر من المضامین القرآنیة والرومنطیقیة أو لمحات منها حتّی نبیّن بوضوح أکثر ذلک المنهل الذی أخذ منه *الشّابی* خطابه الشعری ونهل منه فی بعض مواقفه فی الأحداث والظروف الاجتماعیّة والثّقافیّة المختلفة.

الکلمات الدلیلیة: الأدب العربی، المدرسة الرومنسیة، أدب المقاومة، التأثیر والتّأثّر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالب الدّکتوراه فی قسم اللغة العربیة وآدابها، کلیّة اللّغات الأجنبیّة، جامعة أصفهان، أصفهان. إیران.
s.asgharpour@fgn.ui.ac.ir

** طالبة الماجستیر فی قسم الترجمة، کلیة الآداب والعلوم الإنسانیة، جامعة الشهید مدنی بأذربیجان، تبریز، إیران.
Ati.asghari1998@gmail.com

الکاتب المسؤول: سیامک اصغرپور

المقدّمة

نظرا إلى أننا نواجه شاعرا أبصر الحياة فى بيئة وأسرة مسلمة تحكم فيها الأحكام الإسلاميّة والقرآنيّة ونظرا إلى أن هذا الشّاعر اعتقد الإسلام كدينه والقرآن ككتابه إلى أن اهتم بحفظه، فمن الطّبيعى أن يقوم باتّخاذه دليلا له وهاديه إياه إلى الاطمئنان الروحى الفردى والاجتماعى الذى يتحقق بالاستقلال والحرّيّة من كل ما يتعلق بالأجانب داعيا إليها بأشعاره الّتى تحتوى على المضامين القرآنية والرومنطيقية المثاليّة والمميّزة نمارسها أثناء بحثنا عن ديوان الشّاعر. إن ما يسترعى النظر هو أنّه توجد لمحة من الملامح القرآنيّة فى كثير من أبيات *الشّابى* الوطنيّة وهذه اللمحة تعود إلى تأثره بمبادئ العلوم الدينية التى تعلّمها منذ صغره. هذا وإنّ شعره يرتبط بالفكر القدسى إذ يتناول قضايا وأمورا تتّصف بالخير والفضل فى معتقداته الإسلاميّة.

قد زين هذا الشّاعر الرومنطيقى شعره الّذى هو إنتاج الأمل والمقاومة وداع إلى تبصير العقول والجهاد بالقلم الّذى هو سلاح الشاعر الوحيد زينةً كان الشعب يقبل عليها ويحفظها لأنّ منشده كان محبّا لبلاده وأبناء جلدته. لذلک توخينا فى إطار البحث عن السّيرة الذّاتيّة وملامح أشعار *الشّابى* أن نكشف عن وجه غموض الإتّهامات الّتى توجهت إلى *الشّابى* بأنّه كافرٌ وملحدٌ استنادا إلى بعض أشعاره؛ كما وأن نحقق ما نريده من التعريف بما يتضمنه شعر *الشابى* من المضامين الغرامية القرآنية والرومنطيقية فى ممارسته القضايا الغرامية الشخصية والاجتماعية فى خلال مصادر وأقوال ترتبط به أفكار الشاعر ومعتقداته الإسلاميّة والقرآنيّة الّتى حققت للشّاعر مكانة عالية ومسندا رفيعا فى أذهان النّاس عامة لأجل تمسكه بهذه المبادئ القيمة لديهم ولدى المسلمين بكل أنحاء مسقط رأسه تونس بل العالم بأسره.

على الرغم من وجود الاضطراب فى تلک الأوضاع الاجتماعيّة السّائدة فى المجتمع فجاهد *الشّابى* بنفسه وبأشعاره المتضمّنة المعانى القرآنيّة فى محاولات لإيقاظ مواطنيه ومكافحة جهلهم والظّلم والعبوديّة والاستبداد آنذاک؛ إذ هذه الإشكالية القائلة بأن الشاعر عارض الدين وله آراء لا تليق بشاعر مثله، سيتم محوها عندما نتناول شعر *الشابى* كشاعر رومنطيقى ذى المشاعر الدقيقة اللطيفة وندقق فيه بمنظار آخر يختلف عما نظر إليه الآخرون واتهموه بما قد لا نصدقه عن الشعراء الرومنطيقيين الذين لا قرار لمفرادتهم التى

یصفون بها حبهم. هذا لأن *الشابی* بوصفه شاعرا رومنطیقیا کان قد آنس القرآن الکریم وحفظه وتعلّم تعالیمه. وهذا قد یشبه بسیرة *أبی ماضی* الذی «کان یدعو الناس دائما إلی التفائل والسعادة»(اقدامی وآخرون، ۱۳۹۷ش: ۷۷). والبحث یرید الإجابة عن الأسئلة التالیة: هل یضم شعر *الشابی* عن المضامین القرآنیّة والتعالیم الدینیة؟ وماذا وإلی أیّ مدی؟ وکیف تمتع *الشّابی* بالقرآن کمصدر قیّم حتّی لاتزال تبقی عدّة من النّقاط المتضاربة لدی البعض بالنسبة لمعتقداته؟ وهل صحّ رأی بعض من النّقاد عن لمحة الإلحاد بالنّسبة لبعض أشعار *الشّابی*؟ وما موقف الشّاعر من الدّین والکلمات الغرامیة وهو شاعر رومنطیقی؟

خلفیّة البحث

أمّا الخلفیّة الّتی تتّعلق بموضوعنا تکمن فی مقالات عدّة ألّفت عن *الشابی* وأفکاره ووجهات نظره السیاسیة والاجتماعیة؛ ومن أهمّها مقالة «أثر الأشعار الإحیائیّة للشّابی علی الشّعراء والثورات المتأخّرة للعالم العربی» للباحثین *محمدعلی آذرشب* و*علی ضیغمی* المطبوعة فی مجلّة الأدب العربی سنة ۲۰۱۶م ومقالة أخری عنوانها «النّظرة المقارنة إلی الاتّجاهات السّیاسیّة فی دیوان أبی القاسم الشّابی ودیوان إقبال لاهوری» للباحثین *مهدی ممتحن* و*لیلا قاسمی حاجی‌آبادی* و*زهرا مهاجر نوعی* فی مجلّة الأدب المقارن سنة ۲۰۰۹م ورسالة بعنوان «أبو القاسم الشّابی؛ دراسة فی حیاته وأدبه» للباحث *فخری أحمد حسن طمیلة* بکلیة اللغة العربیة بجامعة القاهرة سنة ۱۹۷۴م.

نواجه فی المقالتین ما فیهما من أبحاث وأوصاف قیّمة عن *أبی‌القاسم الشّابی* وأثر أشعاره فی الثورة علی الأجنبیین الطّغاة والإحیائیة وتصعیدها فی تونس ونزعة الشّاعر السّیاسیّة وأدبه إضافة إلی أنه قد أشیر إلی تأثّر الشّاعر بعدة من آیات القرآن الکریم وامتزاجها بشعره والاستعانة بها لغایة إلهیّة تؤدّی إلی الحیاة الطّیّبة الّتی اختلطت بإرادة الشعب؛ وقد خصّ فی الرّسالة قسم محظوظ منها للبحث عن الآراء والأفکار والعقائد للشّاعر وآراء الآخرین فی أشعاره وآرائه أیضا، وتناولت تجربته ومنزلته الشّعریّة وأهمّ أغراض شعره. لذلک أحدثت هذه الموضوعات دوافع البحث لنسلک مسلک إکمال وإیضاح وتحلیل النّقاط الواردة عن الشّاعر وأفکاره ومواقفه والتی قد یتعارض بعضها البعض.

حياة الشّابی القصيرة

كان *الشابی* من مواليد تونس سنة ١٩٠٩م وما إن وصل عمره الخامسة والعشرين حتّى فارق الحياة سنة ١٩٣٤م. قضى *الشّابی* سنوات فی الزّيتونة وكلية الحقوق التّونسيّة وله ديوان يُسمّی بـ«أغانی الحياة». قال *عزّ الدّين إسماعيل* فی الحديث عن *الشّابی*: «وبدأ شاعرنا الشابی حياته التّحصيل منذ صباه الباكر حيث ألحقه أبوه بالكتّاب لحفظ القرآن وفی سنّ التّاسعة كان قد حفظ القرآن كلّه، فقرّت به عين والده»(إسماعيل، ٢٠٠٦م: ٩٨) وكما أعاد *الفاخوری* نفس الكلام بقوله: «فأتقن القرآن والعربيّة»(الفاخوری، ٢٠٠١م: ٥٥٥/٢) وكذلک أضاف *السيد الدّغيم* بقوله: «وأتمّ حفظ القرآن بكامله فی سنّ التّاسعة» (السيد الدّغيم، لا تا: ٣). وكان والده من رجال الأزهر الشّريف وكان قد عيّن قاضيا شرعيا؛ وقد جاء فی ديوان أغانی الحياة عن أبيه بأنّه: «كان- رحمه الله- صادق التّقی وقویّ العقيدة، لا يخشی فی الحقّ لومة لائم»(الشابی، ١٩٧٠م: ١٢). إذن من المحتوم أنّ هذه البيئة والحياة الأسريّة تسهم فی كيفية تفكير الشّاعر وأنّ أبا بحيازته هذه الخصائص يهتمّ بتربية وتعليم ابنه اهتماما أكثر فأكثر وكذلک سنعدّ كثيرا من هذا الاعتقاد للشاعر فی مواصلة البحث وأثناء الأبيات التی توجد فی ديوانه.

كان *الشّابی* قد لزم القرآن وقد تأثّر به كثيرا حيث نری هذا التأثر فی أشعاره ورسائله، سواء كان فی المستوی العاطفیّ والشّخصیّ أم فی مستوی المسؤوليّات الاجتماعيّة والأحكام التی تتعلق بها. ومع أنّه يبدو أنّ استخدام عبارات مثل إن شاء الله والحمد لله وأسأل الله وحفظه الله والله أعلم وما يماثلها من منظار الأسلوبية يخصّ شخصا له اعتقاده فی الدّين وخطابه الخاص والمتأثر به فنواجه مثل هذه العبارات كثيرا ما فی أبيات *الشّابی* ورسائله ومذكراته وأقواله؛ منها: قصيدة تسمّی بـ«إلی الله» مليئة بالابتهال إلی الخالق أولا وقصائد أخری تحتوی علی آيات إيمانه ثانية، فعلی سبيل المثال جاء فی رسالته الأولی: «مازالت تأخذه الرّاجفة، تتبعها الرّادفة» وفی رسالته الثّانية: «عمّا يساورنی من الأفكار المدلهة كقطع اللّيل المظلم»(طرّاد، ١٩٩٩م: ٢١٨ و ٢٢٢) وهذه تكون الإشارة إلی ﴿يَومَ تَرجُفُ الرّاجِفةُ تَتبَعُهَا الرّادِفة﴾(النّازعات/ ٦ و٧) و﴿كأنّما أُغشِيَت وُجوهُهُم قِطَعاً مِنَ اللّيلِ المظلمِ﴾ (يونس/٢٧) علی التّرتيب؛ ثمّ يرغب الشاعر إلی أنّه: «ربّ! أشقيتَنی وما أشقيتُ أحدا من عبيدک، ربّ! عذّبتَنی وأنا عبدک الّذی لم يجدف باسمک ولا كفر بنعماک، ربّ! رحماک

فإنّ عبءَ القَدَر علیّ شدید»(طرّاد، ۱۹۹۹م: ۲۲۳) وما إلی ذلک من عبارات وجملات کثیرة توجد فی أدب الشّاعر.

تجلّی المفاهیم فی شعر الشّابی

إن *الشابی* ینتمی إلی الرومنطیقیة التی نلمس الحب والوصف فی غزله. قد یمیل شعره الرومنطیقی إلی الواقعیة أحیانا؛ إذ الشاعر یدقق فی القضایا الاجتماعیة والسیاسیة بما أنشده من الشعر الذی له رائحة رومنطیقیة أیضا إلی أن المفردات التی استخدمها وعبّر بها عن مشاعره الرومنطیقیة تجاوزت حدود الدلالة المعتادة للکلمة وهذا قد أدی فی أبیات إلی أن یفسره الشارح لشعره بأن فیها لمحة من الفکر الإلحادی وخروجا عن حدود المعتقدات الدینیة.

الاتّهامات الموجّهة إلی الشّاعر

إن *الشابی* کانت له حیاة دینیة وترعرع فی ظل المعارف القرآنیة التی ترشده وتهدیه، الأمر الذی یلمس القارئ فی شعره وأدبه بوضوح. إذن کیف یری البعض فی البیتین التالیین أنّ *الشّابی* قد خرج فی شعره عن الدّین وتعالیمه ومعارفه، فهو ینحو فی تشابیهه واستعاراته أحیانا منحی لا یقرّه التّوحید أو هو زندقة فی رأی النّقاد، فهو یتکلّم عن المرأة!:

أنتِ قُدسی ومعبدی وصباحی وربیعی ونشوتی وخلودی
یا ابنةَ النّور! إنّنی أنا وحدی مَن رأی فیکِ روعةَ المعبود

(الشّابی، ۱۹۷۰م: ۱۸۳)

وقد یکون عمر *فروخ* أخذ علی الشّاعر قوله فی البیت الأول «أنتِ قدسی ومعبدی» وفی حال أن مثل هذا الکلام مألوف ومعتاد لدی الشّعراء «ولیس المقصود به العبادة الدّینیّة وقد یکون المقصود الولاء والحبّ الدّائم وعدم قدرته الخروج عن طوع من أحبّه بل قد یجد الباحث فی البیت الثّانی روعة الإیمان، لأنّه رأی فی جمال حبیبته قدرة الله سبحانه وتعالی علی الخلق والإبداع»(حسن طمیلة، ۱۹۷۳م: ۸۸ و ۸۹)؛ أضف إلی ذلک أنّه کان تابعا للمدرسة الرّومنطیقیّة فلذلک إنّ وصف المعشوق کثرما یستخدمه من یتعلّق

بهذه المدرسة؛ لأنّ الخيال والعاطفة من عناصرها الهامة ولابدّ من أن يطير الشّاعر بالخيال والعاطفة ويطاردهما عندما يريد وصف حبيبته كما فعل الرّومنطيقيون الآخرون؛ وهـذه لا تكون عدولا عن الدّين وتجاوزه وليس فيه ما يسوء الشّاعر عندنا، لأنّه يرى النّور ظلّ الإلـه أيضا:

إلى النّور فالنّور عذبٌ جميلٌ إلى النّـور فـالنّور ظـلّ الإلـه

(الشّابی، ١٩٧٠م: ١٣١)

ومن ثمّ نرى امتزاج الحبّ بالجمال والجمال بالرّوح وهذه النّظرة المطلقة للحبّ نجدها عند *جبران خليل جبران*؛ وهذه نظرة رومنطيقيّة «بعد أن أحسَّ الشاعر بفشله فی تحقيق المرأة فی واقع الحياة، فلا مناص له من أن يعـيش هـذا المثـال فـی خيالـه»(لعكايشـی، ١٩٨٠م: ٥٩).

ثم نشر قصيدته الشّهيرة:

إذا الشّعب يومـا أراد الحيـاة فـلا بـدّ أن يسـتجيبَ القَـدَر

(المصدر نفسه: ٢٤٠)

فحينئذ ثار عليه رجال الدّين بقولهم فكيف يقول الشّاعر «لابـدّ أن يسـتجيبَ القَـدَر» كيف يستجيب القدر لقوّة الشّعب بينما القدر لا يستجيب إلّا لقدرة الله؛ «لقد اعتبر رجـال الدّين الشّابی كافرا ملحدا وهاجموه هجوما عنيفا وحاربوه علـی نطـاق واسـع؛ والباحـث لا يرى فی قول الشّاعر (لا بدّ أن يستجيب القدر) خروجا عن الدّين بل يرى أنّها تتّفـق مـع تعاليمه الدّاعية إلى القوّة وأنّ الله وعد عباده فی كثير مـن آياتـه بالنّصـر إذا هـم عملـوا» (حسن طميلة، ١٩٧٣م: ٩٠). ولعلّ اعتبار رجال الدّين *الشّابی* كـافرا وملحـدا يرجـع إلـی إنشاد الشّابی شعره المسمّی بـ«يا حُماةَ الدّين»؛ لأنّهم كمـا يبـدو كـانوا قـد سـكتوا أمـام أحداث تونس الاجتماعية والسياسية والثقافية والمالية المؤسفة وناموا عن رؤيـة ومعالجـة قضاياها. هذا ويُدين الشّاعر هؤلاء الرّجال لأنّهم كانوا يهملـون مـا يتعهّدونـه، والشّـاعر قـد نسب الإلحاد بهم وصمتهم فی قصيدة «يا حُماةَ الدّين» التی أنشدها سـنة ١٩٣٠ نـوفمبر - تشرين الثّانی(١٦ جمادی الأولی ١٣٤٩)(الشّيخ، ١٩٩٩م: ١٣٦) أی قبل ثلاث سـنوات بالضبط من إنشاده قصيدته الشّهيرة «إرادة الحياة» سـنة ١٩٣٣ سـبتمر ـ ١٦ أيلـول(٢٦ جمادی الأولی ١٣٥٢)(المصدر نفسه: ٨٠) حتی جعلت الأولـی الرجـال المتطـرفين كـی

یأخذوا قصیدة «إرادة الحیاة» ذریعة لینتقموا لما قاله الشاعر فی قصیدته الأولی التی أنشدها قبل سنوات من إنشاد قصیدة «إرادة الحیاة». وسنأتی فیما یلی بأبیات من قصیدة «یا حماة الدّین» لیتبین موقف *الشابی* الخطیر فی معالجة سلوک المعنیین بأمور البلاد فی قضایا المجتمع السیاسی والاجتماعی:

سَکتُّم حماةَ الدّین سِکتة واجمٍ ونمتم بملءِ الجفن والسّیلُ داهمُ
سَکتُّم وقد شئتُم ظلاما غصونه علائمُ کفرٍ ثائرٍ ومعالمُ
مَواکبُ إلحادٍ وراءَ سکوتِکم وتَضِجُّ وها إنَّ الفضاء مآثمُ
لَحَی اللهُ مَن لم تَستثرهُ حمیةٌ علی دینِه إن داهَمَته العائمُ
لَحَی اللهُ قوما لم یُبالوا بِأسهمٍ یُصوِّبُها نحوَ الدّیانة ظالمُ

(الشّابی، ۱۹۷۰م: ۱۶۵)

تثیر جملة «مواکب إلحاد وراء سکوتکم» إثارة الشعب علی الرجال المسؤولین ولعل مثل هذه الجملة أثارت ردود فعلهم حتی نسبوه بالکفر فیما بعد. «إن استخدام الشّابی الآخر هذا الأصل جملة «کم ضَلَّلَ الناس من إمام وقسّ» للدلالة علی فساد الرجال المسؤولین فی المجتمع»(توفیق، ۲۰۰۹م: ۱۴۰) حیث قال الشاعر:

مُلءَ الدّهر بالخداع، فکم قد ضَلَّلَ النّاسَ مِن إمام وقسّ

(الشّابی، ۱۹۷۰م: ۷۳)

لا یمثل مثل هذه الجمل احتجاجا حاسما شدیدا علی هؤلاء الناس فحسب، بل دعوة للثورة الشاملة علیهم وعلی أدائهم إزاء الوطن وهذا قد یمکن اعتباره قیاما بالأعمال الإصلاحیة من الداخل وصولا إلی القیام بکفاح الاستعمار والأجانب بتنویر العقول بمحاولات عدیدة مختلفة کلغة الشعر والأدب وهذه الأخیرة استخدمها *الشابی* بشکل أدی إلی تشویه سمعته لدی البعض.

مضامین أدب الشّابی القرآنیّة

قد یمتاز أدب *الشابی* بمضامینه الاجتماعیة والسیاسیة والرومنطیقیة العالیة حتی جعل بعض الباحثین والنقاد یثنی علی صفات شعره بمضامینه القدسیة إلی أن قال مثل *أبی شادی* فی کلمة له عن *الشّابی* وشعره: «إنّ شعر الشّابی هو شعر العبقریة والتّفوّق، فله

قدسيّة نورانيّة يصعب تعريفها»(شكيب أنصارى، ٢٠٠٥م: ١٩٣). إن نسأل هنا عن هذه الميزة لشعر *الشابى* بأنه ما هذه القدسيّة النورانيّة التى يتحدّث عنها *أبو شادى* فى قوله ذلک أو من أين جاءت وكيف هى؟ فى حال قد يلمسها كل قارئ ومستمع لشعره.

ربّما قصد *أبو شادى* بقولها عن القدسية أدب *الشّابى* فى ناحيته الفرديّة وهى قد تعنى وتضم ابتهال الشاعر إلى الخالق ومناجاته ورؤية روعة المعبود فى الطبيعة والحبيبة والشّكوى إليه من آلامه وصعوب الدّهر ونوائبه وحزنه لموت أبيه صادق التقى وما إلى ذلک. إن ندقق فيما تحتوى عليه آيات من القرآن الكريم مثل ﴿يا أيّها الّذين آمَنُوا لا تُلهِكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾(المنافقون/٩) و﴿وَما هذه الدّنيا إلّا لهو ولعب﴾(العنكبوت/٦٤) فقد يظهر لنا تأثر *الشّابى* بالمفاهيم القرآنية التى حفظها من القرآن وإيمانه العميق بالله؛ إذ أدرک الشاعر طيلة عمره القصيرة أنّ الدّنيا ولهوها وكلّ ما فيها من جمال وأسباب لذّة ومتعة لا تستهويه عن عظمة الله كما قال وعبّر عن هذا فى أبيات من قصيدة «أغنية الأحزان»:

إنّ مَن أصغى إلى صوتِ المنون ... وصدى الأجداث
ليس تستهويه ألحان الطّيور ... بين أزهار الرّبيع السّاحرة
وابتسامات الحياة، السافرة ... عن جلال الله

(الشّابى، ١٩٧٠م: ٧٠)

تمثل مفردات مثل «أصغى» و«المنون» و«الأجداث» وجهة نظر *الشابى* الذى يراها حقيقية لا يمكن أن يستهان بها إثر أمور قد نراها تافهة ولو كانت فيها لذة أو متعة مثل سماع «ألحان الطيور بين أزهار الربيع الساحرة» أو «ابتسامات الحياة» وما شابهها إضافة إلى أن الشاعر لا ينكر هاتين الأخيرتين إلا ويعبر عنها بأمور سافرة عن جلال الله تبارک وتعالى. وكذلک جاء فى القرآن ﴿وَخَلَقَ كلَّ شيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقدِيرا﴾(الفرقان/٢) التى تنسب تقدير الأشياء والكائنات إليه سبحانه وتعالى مثلما تأثر بها *الشابى* الذى يرى الحياة ملک الله تعالى الّذى يدبّره ويفعل به ما يشاء ويشبه أهل الحياة بلحون القيثارة التى ملكها:

إنّ هذى الحياة قيثارة الله ... وأهل الحياة مثلُ اللحون

(الشّابى، ١٩٧٠م: ٣٨)

ومثل هذا البيت يميط اللثام عن وجه مضامين شعر *الشابى* المتعالية ورفيعة المعانى. هذا ويلجأ *الشابى* ملجأه عند الشّدائد ويشكو إليه آلامه ويؤمن بأنّه هو سميع الدّعاء:

یـا إلـه الوجـود! هـذی جـراح　　فی فؤادی تشکو إلیـک الـدّواهی
هـذه زفـرة یصـعّدها الهـمّ　　إلی مسمع الفضـاء السّـاهی
هـذه مهجـة الشّـقاء تناجیـک　　فهل أنت سامـع یا الهـی؟

(المصدر نفسه: ۱۴۵)

هذه الأبیات تکشف عن أعلی مستوی للابتهال والرغبة إلـی مـا ینادیـه الشـاعر بلغتـه الشعریة الخاصة بالشاعر نفسه بل بالشعراء الرومنطیقین أیضا وها هی نفس المعنی الـذی نری مثله فی القرآن الکریم بلسـان الصـالحین والأنبیـاء: ﴿قالَ إِنَّما أَشکوبَثّی وَحُزنی إلی الله﴾ (یوسف/۸۶).

إن ما یحتوی شعر *الشابی* علیه من التعالیم القرآنیة الدینیة قد نفـذ فـی فکـر الشّـاعر وأحدث له روحا حرّا یدفعه إلی العزّة أمـام الذّلـة والحرّیّـة أمـام العبودیّـة والصّـمود أمـام التّزلزل والجهاد أمام الخـوف والرّهبانیّـة والتّـذکیر أمـام الجهـل والمعرفـة أمـام التّحجّـر ومکافحة الاستعمار والفقر والطّاغوت والـدّعوة إلـی الصّـبر والاسـتقامة والکرامـة والحکمـة والعلم والیقظة من الغفلة وهلمّ جرّا إلی ما یعلّم ویرشدنا الـوحی الالهـیّ مـن غیرهـا؛ لأنّ هذه المفاهیم قد کثر استخدامها فی شعر *الشّابی* والّتی یتعلق اهتمامنا الکثیر بهـا والتـی یراها الشاعر کمسؤلیّة اجتماعیّة وواجب شرعیّ له فی ناحیته الاجتماعیّة.

بما أننا أشرنا إلی تأثیر کتاب الله عزّ وجلّ فـی النّفـوس *فـأبو القاسـم الشّـابی* الشّـاعر التّونسی قد خاض فی دائرة هذا الأمر وتنفّس فی ظلّه ونشـأ نشـأة قرآنیّـة دینیّـة وأتقـن القرآن وحفظه وازدهر أدبه بالعلم والفضل والنّـور المقـدّس الـذی أضـاء الطّریـق للشّـعب بلسان هذا الشاعر أثناء شعره. وقد استغرقت حیاة *الشّابی* سنوات کان الحکم فیها بحیـازة الجور والنّهب والاشتباکات السّیاسیّة. فتعهّد الشاعر بنفسه رسالة النّبـی المجهـول لیوجّـه نوع الحیاة الحرّة الأصیلة إلی الأحرار من شعبه وقد کان له دوره وأثره فی الثّورة والتّحـول الحضاریّ والثّقافیّ؛ تحکی لنا أشعار *الشّابی* عـن اهتمامـه بمجتمعـه لمـا کـان فیـه مـن احتلال وتخلّف فکریّ، حتی جعل الشّـاعر أن یـدقق أدبـه فـی خدمـة التّجدیـد وحقـوق الشّعب الضّائعة والحقیقة الّتی کانت علیها السّتار وأن یقیم بکفاح أبنـاء الشّـیطان بتعبیـر نفسه عنهم فیما أنشده من شعر. أمّا بالنّسبة لما یراه علی عاتقه من دوره الاجتماعی أمام شعبه التّونسیّ والعربیّ فیمکن أن نشیر إلی ما یلی من العناوین وإیضاحاتها:

١.مكافحة الاستعمار والظّلم والطّاغوت

لقد عاش *أبو القاسم الشّابی* فی الثّلث الأول من هذا القرن وبين سنة ١٩٠٩ إلى ١٩٣٤م أی فی إطار تاريخی «يتميّز بفترة ما بين الحربين والتّأزّم الاقتصادیّ العالمیّ وقد كان العالم العربی الإسلامی وهو يرزح تحت كابوس الاستعمار يدفع جزية التّأزّم السياسیّ والاقتصادی على أنّ هذا الثّلث الأول من القرن العشرين قد تميّز ببروز يقظة الوعی القومی فی المجتمعات المستعمرة»(المسدّی، ١٩٩٣م: ١۴) ولا يستثنی دور *الشابی* الاجتماعی فی تنوير العقول واليقظة الاجتماعی والسياسی والثقافی بإنشاد الشعر الذی له أبعاد عديدة مختلفة. وقد قال سبحانه وتعالى فی القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم﴾(الرّعد/١١) التی مازالت ولاتزال تؤثّر فی الأدباء والشعراء الكبار ومنهم *الشابی* الذی يبدو أنه تأثر بهذه الآية كثيرا. إنّ من أبرز أشعار *الشّابی* فی هذا المعنی قصيدة «إرادة الحياة» ومطلعها:

إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيبَ القدر

(الشّابی، ١٩٧٠م: ٢۴٠)

لأنّه يريد أن يغير الأوضاع السائدة عليها بنفسه وبلغته الشعرية ولا يريد استنهاض الشّعب إلّا بنفخ الرّوح من أجل الحياة ليصلح الظروف الاجتماعية الراهنة المؤسفة فی كثير من الأحيان:

لا ينهض الشّعب إلّا حين يَدفَعُه عزم الحياة إذا ما استيقظت فيه

(المصدر نفسه: ١٩٣)

ثم يُعبّر الشاعر المبصر عن إيمانه بالشّعب وبطاقاته الإيجابيّة و «ذلک عبر الإيمان بالقدرة على تفجير كوامن أفراد الأمّة لإخراج طاقاتها الخلّاقة من حيّز الكبت إلى حيّز الانعتاق. هذا الإيمان تنعكس نتائجه الفنّيّة فإذا بالشّابی يحاول أن يستفی منابع إلهامه فی إيمانه بشعبه فيبرز شعوره بعبء المسؤوليّة الفرديّة فی صلب المسؤوليّة الجماعيّة معبّرا عن الأحاسيس الذّاتيّة المنصهرة فی الأحاسيس الجماعيّة وهكذا تصل قوّة العزيمة وصلابة الإرادة وطفرة الإيمان إلى حدّ تفجير المعجزات المتحدّية للقوى الرّوحانية المتعالية»(المسدّی، ١٩٩٣م: ۶٠). يذهب *الشابی* دائما إلى المحافظة على القيم الإنسانية

وإنقاظ الوطن من فخّ الاستعمار والإغارة والحصول على الحرّيّة والتّعايش الحرّ الكامن فی إرادة الشّعب وبالتّالی استسلام الأمور لإرادته، ثمّ يردّد فی مواصلة هذه القصيدة:

ولا بـــدّ للّيـــلِ أن يَنجلـــی ولا بـــدَّ للقيـــدِ أن ينكســـر

(المصدر نفسه: ٢٤٠)

أی ولا بدّ للظّلم والقيد من الفناء وأنّ هذه الأغراض الباطلة تخالف حقـوق الشّـعب ولا بد لها من الزوال والذهاب كما جاء فی الآية الشريفة: ﴿وَقُلجاءَالحقُّوزَهَقَالباطِلُإنَّالباطِلَ كانزَهوقا﴾(الإسراء/٨١) حيث «انقطع الشاعر لمحبّة وطنه حتّی صارت هذه المحبّة عقيدة يخلص لها العبادة»(بن صالح، ٢٠٠٨م: ٧٧).

وقد جاء فی كتاب عنوانه «الشّاعر الوطنیّ، أحمد شـوقی- أبـو القاسـم الشّـابی» وفـی قسم منه عنوانه «التّهجّم علی الطّغاة» يروی فيه الكاتب عن الشّابی قائلا: «هـو يـرد ذلک إلی نزعة الشّر فی نفوس أقوام ظالمين وإلی طغاة جعلـوا هممهـم نهـب خيـرات البلـدان والسّطو علی ثرواتهم، لذلک تراه فی عدّة قصائد يتوعّد هؤلاء الطّغاة الجبابرة بالويل والثّبور ويتنبّأ لهم بسوء العواقب يوم تستيقظ الشّعوب من سباتها وإنّهـا لفاعلـة، طـال الزّمـان أو قصر ويدعوهم إلی يوم يشهدون فيه صروخ الظّلم والطّغيان تـدكّ دكـا»(المصـدر نفسـه: ٨١)؛ وهذا ما نواجهه فی الأبيات التالية:

يـا أيّهـا السّـــــادر فـی غيّـة يا واقفا فوق حطـام الجبـــــاه

مَهـلا ففـی أنـاتِ مَـن دسـتَهم صوتٌ رهيـبٌ سـوف يَـدوی صـداه

يـا أيّهـا الجبّـــــارُ لا تـزدری فالحقّ جبّار طـويل الأنـــــاه

يُغفـی وفـی إغفائـه يَقَظـــــة ترنو إلی الفجـــــر الّذی لا تـراه

(الشّابی، ١٩٧٠م: ٩٢)

إذ يشبه غضب الشعب بحطام الجباه الذی وقف العدو عليها غافلا عـن زمـن انفجارهـا وهذا التعبير تهديد فی نوعه ثم يعبر عن الغضب نفسه بصوت رهيب سـوف يـدوی صـداه وسيحيط بالأجانب المستعمرين وسيثقل آذانهم مهددا إياهم فی البيـت الثالـث بصـراحة ويخاطبهم بمفردة الجبار ثم يری أنفسهم علی الحق لما يقيمونه به أمام الأجانب وغزاتهم. هذا وفی قصيدة تدعی ب«فلسفة الثّعبان المقدّسـة» اسـتعار الشـاعر الثّعبـان للاسـتعمار الذی سلب التّرويح والأمان وسعادة النّفس بسوط القضاء وأخذ يحكم بغير عدل:

والشّاعرُ الشّحرورُ يَـرقُصُ منشـدا للشّـمس، فـوق الـوَرد والأعشـاب
شعرَ السّعادة والسّلام، ونفسُـــه سكرى بسـحر العـالَم الخـــلّاب
وَرآهُ ثُعبانُ الجبال، فَغَمَّـــــهُ ما فيه مِن مَرَح وفـيض شبـــاب

(المصدر نفسه: ٢٧٧)

إن كل هذه الأبيات تدل على أن *الشابی* رغم رومنطيقيته أخذ موقفه الحاسم إزاء مـن يضمر بغضا لوطنه أو يرى مصالحه فی استغلال أبناء جلدة الشاعر وما إلى ذلک من مثـل هذه الأمثلة.

٢.الحرّيّة والعبوديّة، الجهاد

«لقد كان لِما عاشته تونس فترة الاسـتعمار الفرنسـيّ مِـن تخلّـف اجتمـاعيّ وثقـافيّ وضعف سياسيّ وما عاناه التّونسيّون مِن ظلم وقهر واغتصاب حقوق، أثر كبير على الشّـعب التّونسيّ بعامّة والشّاعر بخاصة، فهو جزء منهم عاش معهم مأساتهم الجماعيّة، فلـم يكتـف بوصفهم بل كان يحثّهم على القيام والنّهوض والثّورة فـی وجـه الظّلـم ويمنـيهم بالحرّيّـة ويحثّهم على كسر قيودهم وبعثهم لأنفسهم»(داود محمد، ٢٠١١م: ١٧). إن نسـأل كيـف يستطيع الإنسان أن يحقّق الحرّيّة ويعيش عيشا حرّا فلا بد مـن أن نلمـح لمحـة للآيـات القرآنية للإجابة فی شعر الشابی ومضامينه عن الحرية والعيشة الحرة.

جاء فی القرآن الكريم ﴿وَأَن لَيسَ لِلإنسانِ إلّا ماسَعی﴾(النّجم/٣٩) وهذا إرشـاد بـل مفتـاح لتحقيق ما نترصدها ويترصدها *الشابی* مشـيرا فـی الأبيـات التّاليـة إلـی أنّـه لا يسـتطيع *الشّعب* أن يصل إلی غايته إلّا بالعمل والجهاد فی سبيل تحقيق حياةٍ ما وكمـا هـو الحـال فالفضلُ للمجاهدين من الشّعوب لا للقائدين منهم، ولا ترفع وتحل المعضلات إلّـا بالصّـبر واحتمال المشاق إزاء جروح روحية وجسدية قد تصـيب مـن يجاهـد ويواجـه التحـديات ليصعد الإنسان على الجبال الشّامخة.

إن هذه المفاهيم تعدّ قبل كـل شـیء مـن تعـاليم القـرآن الكـريم الّتـی نجـدها فـی المجالات العديدة للحياة البشرية ومن هذه الآيـات: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ المجاهِـدينَ علی القاعِدينَ أجـرا عَظِيما﴾(النّساء/٩٥) و﴿وَمَن جاهَدَ فَإنَّما يُجاهِدُ لِنَفسِهِ﴾(العنكبوت/٦) وهكذا يقول *الشّابی* بلسانه الشخصی الشعری عن هذه التعاليم:

أبارک فی النّاس أهلَ الطّموح وَمَن یَستَلِذَّ رَکوبَ الخطر
وَألعَنُ مَن لا یُماشی الزّمان وَیَقنَعُ بالعَیشِ عیش الحَجَر
(الشّابی، ١٩٧٠م: ٢٤٢)

هذان البیتان یمثلان طموحات *الشابی* التی یفضلها کجهاد ومحاولة خلافا لما یدینه حول الکسل والاکتفاء بعیش یقدمه الأجانب. کما وشعر *الشّابی* ملیء بمثل هذه المعانی أیضا، لکن بوجه یثور فیه بقلمه وعقله فی تحضیض وتشجیع النّاس لِیعیدوا مجدهم. هذا وکان *الشّابی* شاعر الثّورة ورجل الحرّیّة ویرید الحیاة الحرّة الّتی هی رحمة ونعمة الله ولا یمکن الحصول علیها إلّا بالنّضال، فلذلک یشجّع *الشابی* شعبه علی هذه المهمّة لیکافح العبودیّة، فیما ینشد من الأبیات التالیة:

خُلِقتُ طلیقا کطیف النّسیم وحُرّا کنور الضّحی فی سماه
کذا صاغک الله یا ابن الوجود وألقَتکَ فی الکونِ هذی الحیاه
فما لک ترضی بذلّ القیود وتحنی لِمَن کبّلوکَ الجباه
ولا تَخشَ ممّا وراء التّلاع فما ثمّ إلّا الضّحی فی صباه
(المصدر نفسه: ١٣٠)

إن *الشابی* شاعر اعتاد بأن یکون طلیقا کطیف النسیم وحرا کنور الضحی فی السماء؛ فهذا وحی من الشاعر إلی أبناء جلدته بتونس لیتعرفوا علی طبیعتهم التی توحی بالحریة الإنسانیة التی صاغها الله تعالی هدیة منه سبحانه إلی خلقه من البشر الذی یعتبر ابن الوجود حسب رأی *الشابی*. فلذلک لا یلیق به لیرضی بذل القیود ویحنی لمن کبّلوه مشجعا إیاه علی أن لا یخشی مما وراء التلاع من عظمة کاذبة یدعیها الأجانب والمشاکل واعدا إیاه بالضحی من وراء التلاع التی تمنع الضحی کعیش یبتسم للشعب التونسی.

یمکن القول بأنّ *الشّابی* متفائل، لأنه «یقرّ بأنّ الظّلام حالة موقتة وأنّ زمن الظّلم والقسوة والبطش لن یدوم وأنّ خریف الطّغاة یشرف علی الزّوال وسیحزف علیه شتاء الموت ویحلّ محلّه الرّبیع، فصل انتفاضة الطبیعة من سباتها والشّعوب من غفوتها ویضیء الکون وتبصر القلوب وتکفّ ید الجبروت وتکون الحرّیة وتتحقّق الأحلام»(بن صالح، ٢٠٠٨م: ١٠١) وأشار الشاعر إلی نفس الکلام فی البعض من شعره:

إنّ ذا عصر ظلمة غیر أنّی مِن وراء الظّلام شمتُ صباحَه

ضيَّعَ الدّهرُ مجدَ شعبى ولكن ستردّ الحياة يوما وشاحَه

(الشّابى، ١٩٧٠م: ٢٥)

يعرّف الشاعر عصر عيشه بعصر الظلمة غير أنه متفائل بفجره وصباحه من وراء الظلام الذى ضيّع مجد شعبه. وكذلک استهدف *الشّابى* زرع الثّقة بالنّفس فى شعبه ويصرخ صرخة تيقظ كلّ نائم وهذه هى الّتى يؤمن الشّاعر بها إيمانا تصل جذوره إلى حبّه بالنّسبة لِوطنه وشعبِه.

٣.مكافحة الجهل والتّحجّر بالتّذكير

يلقى الشّاعر بعد ذلک الضوء على مناهج لإكمال غايته التى هو بصدد تحقيقها عمّا مضى من استنهاض الشّعب وبناء الحضارة والثّقافة أو تعديلها بعد تخريبها ودمارها بأيدى المستعمرين الأجانب وإرشاد أبناء شعبه إلى التى هى أقوم من جديد وهى مناهج فيها قدسيّة نورانيّة كنضال الجهل والتّحجّر وإزالتهما بطرق صعبة وشاقة وفى النّهاية زرع الشّوق فى النّفوس بالتّذكير الدّائم.

وعندئذ «يفتح الشّابى جبهة صراعيّة جديدة وهى مرحلة استنهاض الشّعب وإيقاظه، فيضطلع برسالة الأديب الواعى والمفكر الملتزم فيقدّم روائع فنّيّة هى من الشّعر الهادف الصّافى، تجلو فى مجملها تحسّس الشّابى سبيل بعث الوعى فى نفوس الشّعب المتردّد بحثا عن «يقظة الحسّ» وغيرها»(المسدّى،١٩٩٣م: ٦١)؛ إذ إثارة الحس وإيقاظه تعدّ الخطوة الأولى لتحقيق الغاية.

ولكنه قد يقال إن *الشابى* «نزع نزعة صوفيّة رواقيّة وفتح نوافذ نفسه على الإنسانيّة المعذبة وراح يهاجم المجتمع المتحجّر ويدعو إلى التّجديد فى الحياة وإلى جانب هذا، يذهب فى تفهّم الحياة مذاهب مختلفة تعتلج فيها الثّورة واليأس والأمل والألم وقد وعى أنّ بيئته مريضة يسيطر عليها الجهل والفقر وتتنازعها السّياسات الاجتماعيّة والقوى المتحجّرة الرّجعيّة التى تحالف الاستعمار أو تستحذى له فراح يعمل على إيقاظ الضمائر بالمحاضرات وتأسيس النّوادى»(الفاخورى، ٢٠٠١م: ٥٥٨/٢) وكذلک نرى أنّ *الشّابى* يرى العلاج فى إيقاظ مواطنيه وتبصيرهم بما يجهلونه فتحمّس لشعبه:

يا قومُ سرتم حثيثا خطىً، وراء كبارا

نَبَذتم العِلمَ نبـــذَ النّـوی، قلـیً وصِـغارا
لَبِستم الجهـلَ ثوبـا تَخِذتموهُ شِعـــــار
یا قومُ ما لی أراکـم قَطَنتُـم الجَهلَ دارا؟

(الشّابی، ۱۹۷۰م: ۲۹)

إن جملة «یا قوم» تعبیر عن القوی المتحجّرة الرّجعیّة التـی تحـالف الاسـتعمار وعـن ذلک المجتمع المتحجر الذی یدعوه إلی التجدید فـی الحیـاة وتفهمهـا ذاهبـا لتحقیقهـا مذاهب مختلفة قد تعتلج فیه الثورة والیأس بین نبذ العلم واختیار الجهـل بـدلا منـه ثُـمَّ یُواصل:

أیــن یــا شــعبُ قلبـک الخــافق الحسّاسُ؟ أینَ الطّمـوح والأحـلامُ؟
أیــن یــا شــعبُ روحـک الشّــاعر الفنّــان؟ أیــنَ الخیــالُ والالهــامُ؟
أیــن یــا شــعبُ فنّـک السّاحـــر الخلّاق؟ أین الرّسوم والأنغـــــامُ؟
أیــن عــزمُ الحیــاة؟ لاشـــیء إلّــا الموتُ والصّمتُ والأسـی والظّـلامُ؟

(المصدر نفسه: ۲۵۰)

یطرح الشاعر أسئلة تکون الـدعوة الرئیسـة إلـی تحقیـق طموحـات الشـعب وأحلامـه وتعزیز عزمه للحیاة والوقوف والصمود أمام الموت والصمت والأسی والظلام وما إلـی ذلـک من أمور یقترحها الاستعمار لتخلف الشعب التونسی. تنتهی رسالة *الشّابی* فی هذا المجـال فی إثارة النّفوس الجاهلة عن مستقبلها حیث أن الشّاعر قد ودع ما سیأتی إلیها مـن قبـل القدر ولا یعتنی بها ولا یهتم بها اهتماما یجدر بالوصف.

هذا ویحاکی شعب تونس فی القرنین الـ ۱۹ والـ ۲۰ محاکـاة العمایـة التـی تغلـق درب النّور والحیاة والحرّیّة علیهم؛ کان رجال قد جعل وزرهم علی النّاس ویبرّرون أفعالهم باسم الدّین ویحرّمون النّاس من الاستمتاع بعقولهم؛ وکان الشّعب یعتقد بأنّ الشّقاوة الموجـودة هی إرادة الله ونعمته التی یؤدّی احتمالها إلی جزاء أخرویّ؛ کـان *الشّـابی* فـی هـذا الجـوّ کإعصار هبّ علی جمیع مظاهر الجهل والتّحجّر وجعل أشعاره فـی خدمـة النّمـوّ وإیقـاظ النّاس واجتهد أن تناول الإحیائیّة والتّجدید فی مجتمعه؛ بعـد ذلـک کـان أبنـاء الشّـعب یردّدون أشعار *الشّابی* ویصیحون: «قد قال شاعرنا: یشترط أنّ الشعب یرید»؛ کما أنّهم قـد استفهموا من التّعالیم الإسلامیة فی الآیة الحادیة عشرة فی سورة الرّعـد: ﴿إِنَّ اللهَ لا یُغَیِّرُ ما

بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم﴾(آذرشب وضيغمی، ٢٠١٦م: ٥ و ٧). قد أدت المحاولات الشعرية للشاعر إلى يقظة جماعية.

٤.الأمل والمقاومة، العزّة والكرامة

قد تعرّف هذه الأصول الأربعة معنى الحياة المرضية؛ فلذلک يدعو *الشابی* شعبه إليها بكل صراحة وإلحاح. ومما أنشده *الشابی* بهذا الخصوص من أبيات رائعة:

ومَن لَم يُعانقه شوق الحياة تَبَخَّرَ فی جوّها واندَثَر

(الشّابی، ١٩٧٠م: ٢٤٠)

إن هذه دعوة إلى الأمل حسب ما يشير البيت إليه بأنّ الأمل وشوق الحياة نقطة بدء ما بقيت من التّحوّلات؛ ذلک لأنه يسعى العدوّ إلى إبقاء شعب بلد ما فی الغفلة واليأس کی يواصل استعماره فيه، ولكن فی أثناء ومواجهة ذلک يحاول الأعلام المتميّزون فی البلاد أن يستهدفوا أبناء الشّعب وفكرهم وأملهم بإرشاداتهم الصالحة الصادقة لأجل الدّفاع عن العزّة للشّعب بالمقاومة؛ وإن *الشّابی* فی هذا الحقل يرفض عيش الذّل بأبياته التالية على سبيل المثال:

أیّ عيشٍ هذا وأیّ حياةٍ؟ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ

والشّقیُّ الشّقیُّ فی الأرض قلبٌ يَومُهُ مَيِّتٌ وماضيه حیٌّ

(المصدر نفسه: ٢٥٠)

للشابی نفس تأبی عيش الذل مفضلة الموت عليه إضافة إلى أنه يعتقد بماضيه المضیء الذی أطفأه الاستعمار وأذنابه. هذا ودعانا الله أن نبعد من الذّلة والهوان، لأنّنا قد خلقنا طلقاء ومن خلالها نقترب من العزّة ونعانق الحياة الكريمة؛ كما ودعانا أن لا نيأس ولا نتشاءم من الصّمود، لأنّه قال سبحانه: ﴿وَلَو أَنِ استَقامُوا عَلَى الطَّريقَةِ لَأَسقَينـٰهُم ماءً غدقا﴾ (الجن/١٦).

فنرى أنّ *الشّابی* يرمی ما فی الأسفل ويطلب الأعلى ولا يرضی بذلّ القيود ويأمل بما يأتيه أن يكون خيرا وإنّه مؤمن بوصوله إلى النّور الّذی هو ظلّ الإله أی الأمر الذی نراه فی القرآن الكريم وفی قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشكاةٍ﴾(النّور/٣٥)؛ مثلما ينشد *الشّابی* فی البيت التالی:

إلی النّورِ فالنّور عذبٌ جمیلٌ إلی النّـور فـالنّور ظـلّ الإلـه

(الشّابی، ۱۹۷۰م: ۱۳۱)

وفی إطار أفعاله هذه لا یخاف الموت بل یحبّ أن یضحّی بنفسـه لأنّـه یعشـق الـوطن کما صرّحها فی البیت التالی:

لا أبـالی وإن أُریقـت دمـائی فَـدِماء العُشّـاق دومـا مُباحـه

(المصدر نفسه: ۲۵)

وصل الأمر *بالشابی* أخیرا لیقول هکذا وقوله هذا قد ینبعث من أعماق قلبه کی یفصـح عنه بلغته الشعریة الخاصة به والتی امتاز الشاعر بها. وفی النهایة یمکننا القول بأنه صـادق المدعی وصالح النظر؛ إذ استلهم بعضه بل جلّه من مصدر إلهی دینی وهو القرآن الکریم.

نتیجة البحث

إنّ الرومنطیقیة وخصائص هذه المدرسة التی ینتمی إلیها *الشّابی* فی شعره قد جعلـت الشّاعر یتمرّد مجرّدا فی القول عن الحبیبة وهذا التّمرّد لا یدلّنا علی أنّه قد تجـاوز الـدّین وتعالیمه؛ وهذا یختلف عن موضوع أخذ *الشابی* علی الرجال المعنیین للـبلاد والـذین قـد تکون لهم صبغة دینیة؛ فلذلک قد یعارض رأی النّقـاد فـی نسـبة الإلحـاد للشّـاعر مثلمـا یعارض ما حصلنا علیه من وراء البحث عن أدب *الشّابی* فی دیوانه وملامح تلـک المدرسـة أو لما کان فی السّابق من هجمته علی الّذین کانوا لا یبالون بما یجری فی البلاد.

یحتوی شعر *الشّابی* فی ناحیته الفردیّة علـی کلمـات تـدور بینـه وبـین سـبحانه فـی مضامین مثل الشکوی عن الألم ونوائب الـدّهر ومـوت والـده کمـا یوجـد فـی القـرآن مـا یشابهها؛ وفی جانبه الاجتماعی یشمل تعالیم تعلی المجتمع تطوّرا وتنمیـة وفـی النهایـة تورث الکرامة والعزّة والحریّة الّتی أمعن الشّاعر فیها النّظر من خـلال أشـعاره باسـتخدامه مضامین قرآنیة.

وقد تبیّن أنّه ما أبعد الشّاعر عن صفات یدّعیها البعض علیه ولعلنا نلمـس معـانی أدب المقاومة الروحیة والفردیة والإلهیة والاجتماعیـة والسیاسـیة والثقافیـة فـی أدبـه وشـعره اللذین یمثلان أدب المقاومة بین الشعراء التونسیین المعاصـرین الـذین رأوا حاجـة أبنـاء

جلدتهم إليهم فى تنوير العقول والقيام به للاستعداد لمواجهة أسباب التخلف التى من أهمها الاستعمار الأجنبى الغاشم الموجه إلى الشعب التونسى المسلم.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المراجع والمصادر

القرآن الکریم.

ابن صالح، هند. ۲۰۰۸م، **الشّاعر الوطنی أحمد شوقی وأبو القاسم الشّابی**، الطّبعة الخامسة، الجمهوریة التّونسیّة: دار محمد علی للنّشر.

إسماعیل، عزّ الدین. ۲۰۰۶م، **الأعمال الشّعریّة الکاملة؛ أبو القاسم الشّابی**، بیروت: دار العودة.

السّید الدّغیم، محمود. لا تا، **شعراء المغرب العربی: تونس، أبو القاسم الشّابی**، لا مک: لا تا.

الشّابی، أبو القاسم. ۱۹۷۰م، **دیوان أغانی الحیاة**، تونس: الدّار التّونسیّة للنّشر.

شکیب أنصاری، محمود. ۲۰۰۵م، **تطوّر الأدب العربی المعاصر**، أهواز: دار النّشر والطّبع لجامعة الشهید تشمران.

الشّیخ، غرید. ۱۹۹۹م، **دیوان أبی القاسم الشّابی**، الطّبعة الأولی، بیروت: مؤسسة الأعلَمی للمطبوعات.

طراد، مجید. ۱۹۹۹م، **دیوان أبی القاسم الشّابی ورسائله**، الطّبعة الرّابعة، بیروت: دار الکتب العربی.

الفاخوری، حنّا. ۲۰۰۱م، **الجامع فی تاریخ الأدب العربی**، قم: منشورات ذوی القربی.

لعکایشی، عزیز. ۱۹۸۰م، **مظاهر الإبداع الفنّی فی شعر أبی القاسم الشّابی**، مکة المکرّمة: جامعة أمّ القری.

المسدّی، عبد السّلام. ۱۹۹۳م، **دراسات نقدیّة، قراءات مع الشّابی والمتنبّی والجاحظ وابن خلدون**، الطّبعة الرّابعة، القاهرة: دار سعاد الصباح.

المقالات والرسائل الجامعیة

اقدامی، مهین ومحمود شکیب ولیلا قاسمی. ۱۳۹۷ش، «**الحریة والوطنیة فی شعر إیلیا أبو ماضی**»، دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، العدد الأربعون، صص ۷۳- ۸۴.

آذرشب، محمد علی وعلی ضیغمی. ۲۰۱۶م، «**أثر الأشعار الإحیائیّة للشّابی علی الشّعراء والثورات المتأخّرة للعالم العربی**»، مجلة الأدب العربی، الرّقم الثّانی، السّنة السّابعة، صص ۲۲- ۱.

توفیق، إیاد أبو تراب مصطفی. ۲۰۰۹م، «**أثر النّزعة التّشاؤمیّة فی المعجم الشّعریّ لأبی القاسم الشّابی**»، جامعة النّجاح الوطنیّة، کلیّة الدّراسات العلیا، نابلس، فلسطین.

حسن طملیة، فخری أحمد. ۱۹۷۳م، «**أبو القاسم الشّابی دراسة فی حیاته وأدبه، جامعة الأزهر**»، کلّیة اللغة العربیة، الدّراسات العلیا، الأدب والنّقد.

داود محمد ناجی، آلاء. ۲۰۱۱م، «**شعر أبی القاسم الشّابی فی ضوء نظریّة التّلقی**»، جامعة الشّرق الأوسط، کلیّة الآداب والعلوم.

References and sources

The Holy Quran.

Ibn Saleh, India. 2008, the national poet, Ahmad Shawqi and Abu al-Qasim al-Shabi, the fifth edition, the Tunisian Republic: Dar Muhammad Ali for publishing.

Ismaeil, Izz al-Din. 2006, complete poetic works; Abu al-Qasim al-Shabi, Beirut: Dar al-Awda.

Al-Seyed Al-Daghim, Mahmoud. La Ta, the poets of the Arab Maghreb: Tunisia, Abu Al-Qasim Al-Shabi, La Mak: La Ta.

Al-Shabi, Abu Al-Qasim. 1970, Diwan Aghani Al-Hayat, Tunisia: Tunisian Publishing.

Shakib Ansari, Mahmoud 2005, The Evolution of Contemporary Arabic Literature, Ahwaz: Dar Al-Nashr and Printing for the Martyr Tashmran Society.

Al-Sheikh, Gharid. 1999, Diwan Abi Al-Qasim Al-Shabi, First Edition, Beirut: Scientific Foundation for Publications.

Tarad, Majid. 1999 AD, Diwan of Abi Al-Qasim Al-Shabi and Issue, Fourth Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Fakhouri, Hanna. 2001, Comprehensive in the History of Arabic Literature, Qom: Publications of Zuy Al-Ghorba.

Lakayeshi, Aziz. 1980 AD, Manifestations of Artistic Innovation in the Poetry of Abi Al-Qasim Al-Shabi, Makkah: The community of Ummah Al-Ghora.

Al-Masaddi, Abdolsalam, 1993, Critical Studies, Readings with Al-Shabi, Al-Mutnabi, Al-Jahez, and Ibn Khaldun, The Fourth Edition, Cairo: Dar Saad Al-Sabah.

Articles

Eghdami, Mahin and Mahmoud Shakib and Leila Ghasemi. 2018, "Freedom and Homeland in the Poetry of Ilia Abu Abu Mazi", Studies in Contemporary Literature, Tenth year, Number Four, pp. 73-84.

Azarshab, Mohammad Ali and Ali Zeighami. 2016, "The Effect of Revival Poems on Shabbi on Poets and Late Effects on the Arab World", Journal of Arabic Literature, Second Number, Seventh year, pp. 22-1.

Tawfiq, Ayad Abu Torab Mustafa. 2009, "The effect of the visual display in the poetic dictionary on the son of Al-Qasim Al-Shabi", Jameat Al-Najah Al-Watani, Koliyat Al-Dorasat Al-Alya, Nablus, Palestine.

Hassan Tamliye, Fakhri Ahmad. 1973, "Abu al-Qasim al-Shabi's study in his life and literature, Al-Azhar Jameat", all Arabic language, Al-Dorasat Al-Alya, literature and criticism.

Dawood Mohammad Naji, Alaa. 2011, "Sher Abi Al-Qasim Al-Shabi Fi Zu Nazariyat Al-Talaghi", Middle East Society, All Etiquette and Sciences.

Studies in Contemporary Literature, Thirteenth Year, Summer 2021, Issues Fifty: pp. 9-30

Poetry of Abu Al-Qasim Al-Shabi and its Quranic and romantic themes

Date of Received: July 4, 2020 Date of acceptance: October 21, 2020

Siamak Asgharpour
PhD student in Arabic Language and Literature, Faculty of Foreign Languages, University of Isfahan, Isfahan. s.asgharpour@fgn.ui.ac.ir
Atefeh Asghari Chenar
MA student of translation, Faculty of Literature and Foreign Languages, Shahid Madani University of Azarbaijan, Tabriz, Iran. Ati.asghari1998@gmail.com
Corresponding author: Siamak Asgharpour

Abstract
Since Abu al-Qasem Al-Shabi was born in a family in which the light of the Holy Qur'an had shone on its atmosphere, so he chose the Qur'an as a companion and managed to preserve it, and even influenced it in his social life and way of thinking. In a way that he made the style of his romantic poems closer to it. This is what prevented his poems from deviating from the Quranic teachings that this effect is often seen in his poems and themes. Relying on a descriptive-analytical method, this article aims to examine how the poet uses the teachings of the Qur'an and the subject of his hatred of vices and evils and praising the virtues and virtues in his poems which is allocated to the subject of nation and homeland in order to explain a source from which he has been inspired in his stances on various social and cultural events and situations by understanding Shabi verses.

Keywords: Arabic literature, Romantic school, Resistance literature, Impact and Influence.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

دراسات الأدب المعاصر، سال سیزدهم، تابستان ۱۴۰۰، شماره پنجاه: صص ۳۰- ۳۰

شعر ابو القاسم الشّابی و مضامین قرآنی و رومانتیکی آن

سیامک اصغرپور*

عاطفه اصغری چنار**

تاریخ دریافت: ۹۹/۴/۱۳

تاریخ پذیرش: ۹۹/۷/۲۹

چکیده

از آنجا که *ابوالقاسم الشّابی* در خانواده‌ای به دنیا آمد که نور قرآن کریم بر فضای آن تابیده بود، بنابراین قرآن را به عنوان مونسی برای خود برگزید و موفق به حفظ آن شد و حتی در زندگی اجتماعی و شیوه تفکر خویش نیز از آن تأثیر پذیرفت، به گونه‌ای که سبک سروده‌های رومانتیکی خود را به آن نزدیک ساخت. این همان چیزی است که مانع دور افتادن سروده‌های وی از آموزه‌های قرآنی شد که این تأثیر، اغلب در اشعار وی و مضامین آن قابل مشاهده است. این مقاله با تکیه بر روش توصیفی- تحلیلی بر آن است تا به بررسی چگونگی بهره گیری شاعر از آموزه‌های قرآن و به موضوع کراهت وی نسبت به رذیلت‌ها و بدی‌ها و تحسین محاسن و نیکی‌ها در اشعاری از وی بپردازد که به موضوع ملت و وطن اختصاص دارد تا با پی بردن به کُنه ابیات *شابی*، سرچشمه‌ای را که او در موضع‌گیری‌های خود در حوادث و اوضاع مختلف اجتماعی و فرهنگی از آن الهام گرفته است، تبیین نماید.

کلیدواژگان: ادبیات عربی، مکتب رومانتیک، ادبیات مقاومت، تأثیر و تأثر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* دانشجوی دکتری رشته زبان و ادبیات عربی، دانشکده زبان‌های خارجی، دانشگاه اصفهان، اصفهان. ایران.
s.asgharpour@fgn.ui.ac.ir

** دانشجوی کارشناسی ارشد ترجمه، دانشکده ادبیات و زبان‌های خارجی، دانشگاه شهید مدنی آذربایجان، تبریز، ایران.
Ati.asghari1998@gmail.com

نویسنده مسئول: سیامک اصغرپور